بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دفني

— ٢ —

— ١ —

أيها الشعر (١) أيها الكنز . ياجوهرة العقل . ان عواصف القلب كزوابع البحر لن تستطيع أن تعوق رداءك المتعدد الصبغة عن أن يجمع ألوانه ، لكن ما ان يراك السوقة وأنت تلمع فوق جبهة نبيلة حتى تضطرب حواسهم لبريق سناك النامل في أعينهم ، الناهض على انهامهم ، تنطلق ألسنتهم بالنيل منك وقلوبهم تكاد تنخلع من الهلع .

— ٢ —

انما يخشى حماسة الالهام (٢) ضعاف النفوس . أولئك الذين لا يقوون على الاستقلال بعبئه والصبر على لظاه . وفيم تكبه (٣) والحياة تضاعفها نيران الباطنة ولكم من قبس الاهي تصيبنا ناره من حين الى حين . تلك هي الشمس وهو الحب وهي الحياة ومع ذلك فهل من أحد يود ان تنطفيء نارها . انا نتزهها ونحن ساخطون عليها .

— ٣ —

— لقد استحقت إلهة الشعر (٤) ابتسامات التهكم وأمارات الاستهتار التي يستثيرها مرآها منذ أن اتجهت ببصرها الى الماهرين فاضطرب مقالها ونزل صدقها منزل الشك وحرم عليها ان تلم الحكمة وأصبحت اليوم اذا صاحت بعابري الطريق ان أفسحوا أفسح لها السائر في غير هيبة ولا احترام

— ٤ —

يالك من فتاة لاعفة لها . ياليتك صمت وقرك ياسليلة ارفيوس . اذا ما كنت تذهبين الي حيث لايليق بك الى الشوارع وملتقى الطرق تشدين الاغاني بصوتك الحشن المتهدج . اذا ما كنت تلصقين بجانب فمك باقة الشعر اللاذعة كالذبابة ، وبجانب عينك الزرقاء معنى الرمز المستهتر .

(١) في هذا الجزء من القصيدة يتكلم الشاعر عن الشعر ويتطرق الى هجاء المجالس النيابية وهو في ذلك ربما كان متأثرا بسقوطه المتوالي في الانتخابات كما أنه يحقد على لامارتين وهيجو عندما تركا الشعر احتقارا لامره ليندمجا في سلك السياسة . يتخذ الشاعر جانب الشعر ليدافع عنه مقارنا بينه وبين الخطب السياسية التي تفنى بفناء ساعة القائها .

(٢) يقصد بحماسة الالهام حماسة الشعر .

(٣) أي تكبت الالهام أي الشعر .

(٤) وضعنا آلهة الشعر ونحن نعدل في الحقيقة أن ننقل كلمة الميز Muse كما هي لان هذا اللفظ من جهة شبه أجنبي ومن جهة أخرى متصل وله مدلول تاريخي لايؤديه قولنا آلهة الشعر وما علينا الا نقله من اليونان كما نقله غيرنا من الأمم .

— ٥ —

لقد سقطت منذ حداثتك . ففي اليونان اسكرك عجوز (٥) بقبلته وكان أول من خلع عنك ثوب كهنوتك ثم أجلسك على فخذيه بين جماعة الشبان ، ولايزال على جبينك آثار من هش قبلاته ! وفي ولائم هوراس كنت تغنين وأنت تثملين بالشراب ، وجاء فولتير فقادك الى البلاط تحت أبصارنا جميعا .

— ٦ —

يالك من قسيسة (٦) خبت نارها . هاهم أعظم الناس خطرا لايضعون على جباههم من تاجك الا بعضه . هاهم تقف أقدامهم وكأنما يتعثرون في خطاياك حتى أنه لمن الاهانة لاحدهم الا يكون الا شاعرا . ينثرون أفكارهم مع رياح المنصة فتدور بها عمياء كالقدر ثم تحملها الى غير مستقر .

— ٧ —

متكبرون متعالون في مواقفهم الكاذبة وان مادت الارض تحت أقدام أولئك التريبون (٧) خطيبهم الفانيه تتملق الجماهير التى تلتف حولهم وتصفق لعباراتهم وتلك الجماهير الذين يتجددون باستمرار في هذه المسارب الضيقة . هؤلاء النظارة لايعطون لأولئك الممثلين السياسيين الا ازهارا لا رائحة لها وما لها من غد في أغلب الأحيان .

— ٨ —

انتهم تحده جدران صالتهم حيث يقومون بألعابهم الكاذبة والشعب يسمع عن بعد ضوضاء جدالاتهم ولكنه لاينظر الى تلك الالعاب الا كما ينظر أبناؤه ونساؤه مضطربين الى ذلك الحدث العجيب . آلة البخار ذات المائة ذراع .

— ٩ —

تري الفلاح للتو يسخط عند ما يوقف محراثه ويترك فلاحته لينتخب ومع ذلك هاهو أحد عامي اليوم قد استقر في أعماق نفسه احتقار ما نسميه الخلود . ذلك الحامي الذي يشك في خلود النفس

(٥) يقصد به الشاعر هوميروس .

(٦) اللفظ الفرنسي Vestale واللاتينية Vestales وهو مشتق من Vesta الهة النار عند الرومان فال Vestala هي قسيسة بتلك الالهة وكان أولئك القسيسات يخترن من بين الاطفال الذين لا يقل سنهم عن السادسة ولا يزيد عن العاشرة وتوكل اليهن طول حياتهن حماية النار المقدسة في كل ساعة فاذا انطفأت منها النار جلدوها وان خانت عفتها اعدموها ولا شك ان لفظ قسيسة لايعطي هذه المعاني كلفظ Vestala الذي له أصل اشتقاق معروف كما له معنى تاريخي .

(٧) يشبه الشاعر نواب فرنسا « بالتريبون الروماني » من حيث ان كلا يمثل الشعب وفيني شاعرنا معروف بكرهه للحكم النيابي وهو ارستقراطي الاصل أو من الاشراف يفضل دائما الحكم الملكي ويدافع عن حقوق الملوك كما يظهر ذلك بوضوح في قصيدته البوت Las Aracles حيث يشبه الدساتير بالرمال التي تنهار تحت من يتكيء عليها .